العدد 4 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية نيسان 2024
No. 4 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences April 2024
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

اللغة العربية واللغات السامية (خصائص وآثار مشتركة)

م.د. أحمد طه ياسين
مركز تنمية حوض أعالي الفرات/ جامعة الانبار
ass_ahmad78@uoanbar.edu.iq

المستخلص

أن دراسة اللغة العربية ومقارنتها مع أخواتها من اللغات السامية يعد من الدراسات المهمة والضرورية في كل الظروف والازمان، وفي الوقت الذي كثر الجدل فيه حول أصول هذه اللغات، وتأثيراتها المختلفة من داخل هذه اللغات أو من اللغات الأجنبية الأخرى، خصوصاً وقد ظهر في العصر الحديث فريق من اللغويين المحدثين بعضهم من العرب ومعظمهم من غير العرب (أغلبهم من المستشرقين)، يميلون في آرائهم إلى أفكار منكرة ومبالغ فيها، وينسبون الكلمات العربية التي كانت تستخدمها شعوب ما قبل الإسلام إلى أصول غير عربية، ويزعمون أنها تنتمي إلى كلمات مستخدمة في لغات أخرى (كالسريانية والعبرية والإثيوبية وغيرها)، وذلك لمجرد وجودها أو وجود مشابه لها في تلك اللغات، وحجتهم في ذلك أن العرب بدو جاهليون أميون وثنيون، يعتبرون الكلمات غير العربية كلمات ذات معاني دينية أو سياسية أو اجتماعية أو حرفية أو غيرها، ولذلك فمن المستحيل أن تكون هذه الكلمات من أصول العربية، وإنما هي طارئة على أصلها أي بمعنى دخيلة عليها ومن ثم عُربت، وبذلك يكون وراء ذلك كله هدفهم الأول والأخير هو الطعن في القرآن الكريم. ومن أجل ذلك وحفاظاً على موروث لغتنا العربية وقراننا الكريم، لذا كان ولا بد من الخوض في مضمار هذه الدراسة للوقوف على بعض البراهين والأدلة التي تثبت موقف اللغة العربية من اللغات السامية ومعرفة قوة التأثير والتأثر بينهم، والوقوف على خصاص تلك اللغات، لذلك كان من الأجدر البدء بمعرفة مبسطة حول اللغة العربية وموقعها بين اللغات السامية، وتقديم شرح موجز عن خصائص اللغات السامية، وتمييز الخصائص التي تجعل من اللغة العربية الأولى في اللغات السامية، الامر الذي يدفعنا إلى معرفة الخصائص المشتركة والغير مشتركة بين اللغات السامية، والوقوف على الاثار التي تعرضت إليها اللغة العربية من اللغات السامية.

الكلمات المفتاحية: العربية ،العبرية ، الآرامية ،السريانية ، الحبشية ، السامية ، السامية المشتركة

Arabic and Semitic languages (common characteristics and effects)

Dr. Ahmed Taha Yaseen,
Upper Euphrates Basin Developing Centre/ University of Anbar

Abstract

The study of the Arabic language and its comparison with its equivalent from the Semitic languages is one of the important and necessary studies in all circumstances and times, and at a time when there is much controversy about the origins of these languages, and their various influences from within these languages or from other foreign languages, especially since a team of modern linguists has appeared, some of them Arabs and most of them non-Arabs (mostly orientalists), inclined in their opinions to denial and exaggerated ideas, so they attributed Arabic words used by the ignorant to foreign origins, and claimed that it is a word expressed in other languages (such as Syriac, Hebrew, Abyssinian or others), merely appearing or similar in those languages. Their argument in this was that the Arabs were ignorant, illiterate, pagan Arabs, and that the words that they saw were foreign, words with religious, political, social, literal or other connotations, so they could not be from the heart of Arabic, they must be an emergency that was originally alien and then Arabized, and their first and last goal in that was to challenge the Holy Qur'an. For this purpose and in order to preserve the heritage of our Arabic language and our Holy Quran, so

it was necessary to delve into the field of this study to find out some proofs and evidence that prove the position of the Arabic language from the Semitic languages and to know the strength of influence and influence among them, and to stand on the characteristics of those languages, so it was better to start with a simplified knowledge about the Arabic language and its position among the Semitic languages, and to provide a brief explanation of the characteristics of the Semitic languages, and to distinguish the characteristics that make the Arabic language the first in the Semitic languages, This prompts us to know the common and non-common characteristics of the Semitic languages, and to identify the effects to which the Arabic language has been exposed from the Semitic languages.

Keywords: Arabic – Hebrew – Aramaic – Syriac – Abyssinian – Semitic – Semitic Joint

المقدمة: الحمد لله، الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي العربي الامي بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين (وعلى اله وصحبه وسلم). فمن أعظم نعم الله تعالى على الانسان نعمة اللغة، وقد أكد ذلك قوله تعالى في محكم التنزيل: **(الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)، (الرحمن: 1-4)**، فبما ان العالم يشهد تطوراً كبيراً في كافة العلوم، لذلك كان لا بد من علماء اللغة أن يكون لهم نصيب من هذا التطور، خصوصاً أن الدراسات اللغوية الحديثة تشهد تطوراً ملحوظاً، متجاوزة الاهتمام بلغة بعينها، بل إلى دراسة اللغة بشكل عام، ولا يخفى على أحد أن خطر اللغة في حياة الفرد لا يقل عن خطرها في حياة المجتمع، إذ هي الأداة الوحيدة التي تمكن الفرد من الدخول في نطاق المجتمع الذي يعيش فيه، فلولا اللغة لظل الفرد حبيس العزلة عن المجتمع، ومن هنا جاءت فكرة دراسة اللغات المقارنة، لما لها من دور في البحث في أعماق هذه اللغات والتوسع في دراستها، لذلك كان ينبغي علينا أن ندرك أن الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث أصبح من المسائل الملحة والقضايا المهمة التي يجب أن نفتش عن حقائقها، وخصوصاً بعد ظهور علم اللغة الحديث، كعلم مستقل بذاته، له كيانه المتميز كباقي العلوم الأخرى.

لقد جاءت هذه الدراسة في خمسة مواضيع مترابطة فيما بينها، كان **أولها**: تقديم تعريف مفصل عن اللغة العربية وموقعها بين اللغات السامية. **ثانياً**: شرح مفصل عن أهمية الدراسات السامية. **ثالثاً**: خصائص اللغة العربية في ضوء اللغات السامية. **رابعاً**: التعرف على الخصائص التي تجعل من اللغة العربية الأولى في اللغات السامية. **خامساً**: معرفة الخصائص المشتركة والغير مشتركة بين اللغات السامية. **سادساً**: الاثار التي تعرضت إليها اللغة العربية من اللغات السامية، وفي الختام ذكر أهم النتائج التي توصلت إليه هذه الدراسة.

أهمية الدراسة: تأتي أهمية هذه الدراسة في وقت شحت فيه الدراسات اللغوية المقارنة، خصوصاً فيما يتعلق بالدراسات السامية، إلا بعدد قليل منهم، وبخاصة وأن أغلب الباحثين أتجه نحو الدراسات الدينية والادبية والتاريخية المقارنة، فكان هذا من أهم العوائق في طريق هذه الدراسة، لذلك جاءت أهمية البحث من أنها تحاول تأصيل اللغة العربية مع شقيقاتها من اللغات السامية بالكشف عن الخصائص والآثار المشتركة بينهما، خصوصاً أن بعض الباحثين ذهب إلى تأصيل اللغة العبرية بين اللغات السامية، تعصباً لها بدوافع عقدية، دون سند علمي رصين، ومنهم من أعترف بجدارة اللغة العربية بأنها أم اللغات السامية، ولهذا جاءت هذه الدراسة وغيرها لتعزز هذه النظرة للغتنا العربية.

منهج الدراسة: لقد تم الاعتماد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي واللغوي المقارن بين اللغة العربية واللغات السامية، وذلك بالتركيز على بعض التراكيب المختلفة والمتشابهة بين هذه اللغات، بالاعتماد على تأصيل استعمال المفردات اللغوية التي وردت في كتب النحو وغيرها، وملاحظة مدى التوافق والاختلاف بينهم، وصولاً إلى تحقيق الهدف الذي من أجله قامت هذه الدراسة.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة باستعراض أهمية اللغة العربية ومقارنتها مع اللغات السامية الاخرى، والتعرف على خصائص هذه اللغة، والخصائص التي تشترك بها مع هذه اللغات، وما تأثرت به، للوصول إلى بيان ما تفوقت به العربية على غيرها من اللغات السامية، بعد ما أصبحت أكملها مضموناً، وأقدرها في أداء المعاني، وكذلك يهدف البحث أن يجعل القارئ يدرك مدى أهمية هذه اللغة، واختيارها لإبلاغ أكمل الرسالات السماوية، لم يكن دون قصد أو عملاً اعتباطياً، غير أنها أفضل اللغات الحية، وأكمل اللغات السامية، إضافة إلى الاطلاع على اللغات الأخرى التي ستكون طرفاً في المقارنة، مستعيناً على الله تعالى أولاً ثم على ما توفر لدّي من كتب، وما جمعته من معلومات من شبكة المعلومات العالمية.

مقدمة عن اللغة العربية:

تعد اللغة العربية من أهم اللغات السامية على الإطلاق، فهي لغة وسط الجزيرة العربية وشمالها، فهو موطنها الأصلي، وتسمى (اللغة العربية الفصحى)، يتحدث اللغة العربية ما يقرب من 250 مليون شخص، يتوزعون في جميع أنحاء شمال أفريقيا، من المحيط الأطلسي إلى البحر الأحمر، وكذلك في شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام، مع وجود عدد كبير من اللغات الثانية غير العربية، خاصة في الدول الإسلامية، هي لغة القرآن، وتتكون من 28 حرفًا من اليمين إلى اليسار، مما يجعلها ثاني أكثر الحروف الأبجدية استخدامًا في العالم بعد الأبجدية اللاتينية، وتستخدم لكتابة العديد من اللغات الأخرى مثل الفارسية والأردية، وبسبب نزول القرآن الكريم بهذه اللغة جعلها تنتشر انتشاراً واسعاً، لم تحققه أي لغة أخرى في العالم (عبد التواب، 1999م، ص34، وأنظر أيضاً، بروكلمان، 1977م، ص30).

واللغة العربية: هي الكلمات التي يُعبرُ بها العرب عن أغراضهم، والتي وصلت إلينا عن طريق النقل، وحفظها لنا القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، وما رواه الثقات من منثور العرب ومنظومهم، فلما خشيَ العرب من ضياع لغتهم بعد أن اختلطوا بالأعاجم، قاموا بتدوينها في المعاجم (القواميس)، وأصلوا لها أصولاً تحفظها من الخطأ، تسمى هذه الأصول (العلوم العربية)، وهذه العلوم: هي العلوم التي يتوصلُ بها إلى عصمة اللسان والقلم عن الخطأ، وهي ثلاثة عشر علماً: (الصرف، والإعراب، والرسم، والمعاني، والبيان، والبديع، والعَروض، والقوافي، وقَرْضُ الشعر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومَتنُ اللغة) (الغلاييني، 1414هـ - 1993م، ج1، ص7-8).

ولم تشذ اللغة العربية عن مثيلاتها من اللغات العالمية الأخرى، فقد أخذت وأعطت، غير أنها زهدت في الأخذ وأجزلت في العطاء، فيسمى ما دخل للغة العربية من لغات أخرى دخيلاً، ولكل عصر دخيله، فكان معظم الدخيل للغة العربية في العصر الجاهلي من اللغات الفارسية، والسريانية، واليونانية؛ وفي بعض العصور الإسلامية كثرت الكلمات الدخيلة من اللغات التركية والفارسية؛ أما في عصرنا هذا فجاء أكثر الدخيل من اللغات الأوربية كالإنكليزية، والفرنسية، والإيطالية؛ إضافة إلى بعض الكلمات الدخيلة من اللغة الأردية وبخاصة في لهجات الخليج (عبد الرحيم، 1432هـ-2011م، ص7).

واللغة العربية قديمة قدم سيدنا آدم (عليه السلام)، وسيدنا إسماعيل (عليه السلام) من بعده، وهذا ما صرحت به كتب القدماء، حيث قالوا: "أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن أربع عشر سنة (الألباني، 1408هـ - 1988م، المجلد3، ص504، رقم الحديث 2581). وذكر السيوطي في (المزهر) ما نصه: "قال عبد الملك بن حبيب: كان اللسان الأول الذي نزل به آدم من الجنة عربياً إلى أن بَعُد العهد، وطال، وقد حُرّف وصار سريانياً، وهو منسوب إلى أرض (سورى أو سوريانة) وهي أرض الجزيرة العربية، حيث كان بها نوح (عليه السلام)، وقومه قبل الغرق. كما ذكر السيوطي: "أن أول من أنعدل لسانه من السريانية إلى العربية يعرب بن قحطان" (السيوطي، د.ت، ج1، ص20).

وتؤلف اللغة العربية مع اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية شعبة لغوية واحدة يطلق عليها: (الشعبة السامية الجنوبية)، وذلك بحسب صلات القرابة التي تربط بين هذين الفرعين من اللغات أقوى بكثير من الصلاة التي تربطها بشعب اللغات السامية الشمالية، ويبدو ذلك واضحاً في الموازنة بين تلك اللغات في أصول (الكلمات والأصوات والقواعد)، وهذه الفروع الثلاثة تختلف فيما بينها من حيث قربها بعضها من بعض، فصلة القرابة بين اللغات اليمنية القديمة واللغات الحبشية السامية أقوى بكثير من صلتة قرابتها باللغة العربية، ويرجع السبب في ذلك إلى أن اللغات الحبشية السامية قد تشعبت بشكل مباشر من اللغات اليمنية القديمة (وافي، 2004م، ص78).

وبالرغم من أن اللغة العربية قد نشأت في أقدم موطن للساميين (بلاد الحجاز ونجد وما جاورها)، فإن ما وصل إلينا من آثارها يعتبر من أحدث الآثار بين اللغات السامية، فنرى أن أقدم ما وصل إلينا من آثار العربية لا يكاد يتجاوز القرن الخامس بعد الميلاد، لذلك لا نعلم الكثير عن طفولة اللغة العربية وما مرت به من مراحل في عصورها الأولى (وافي، 2004م، ص78-79).

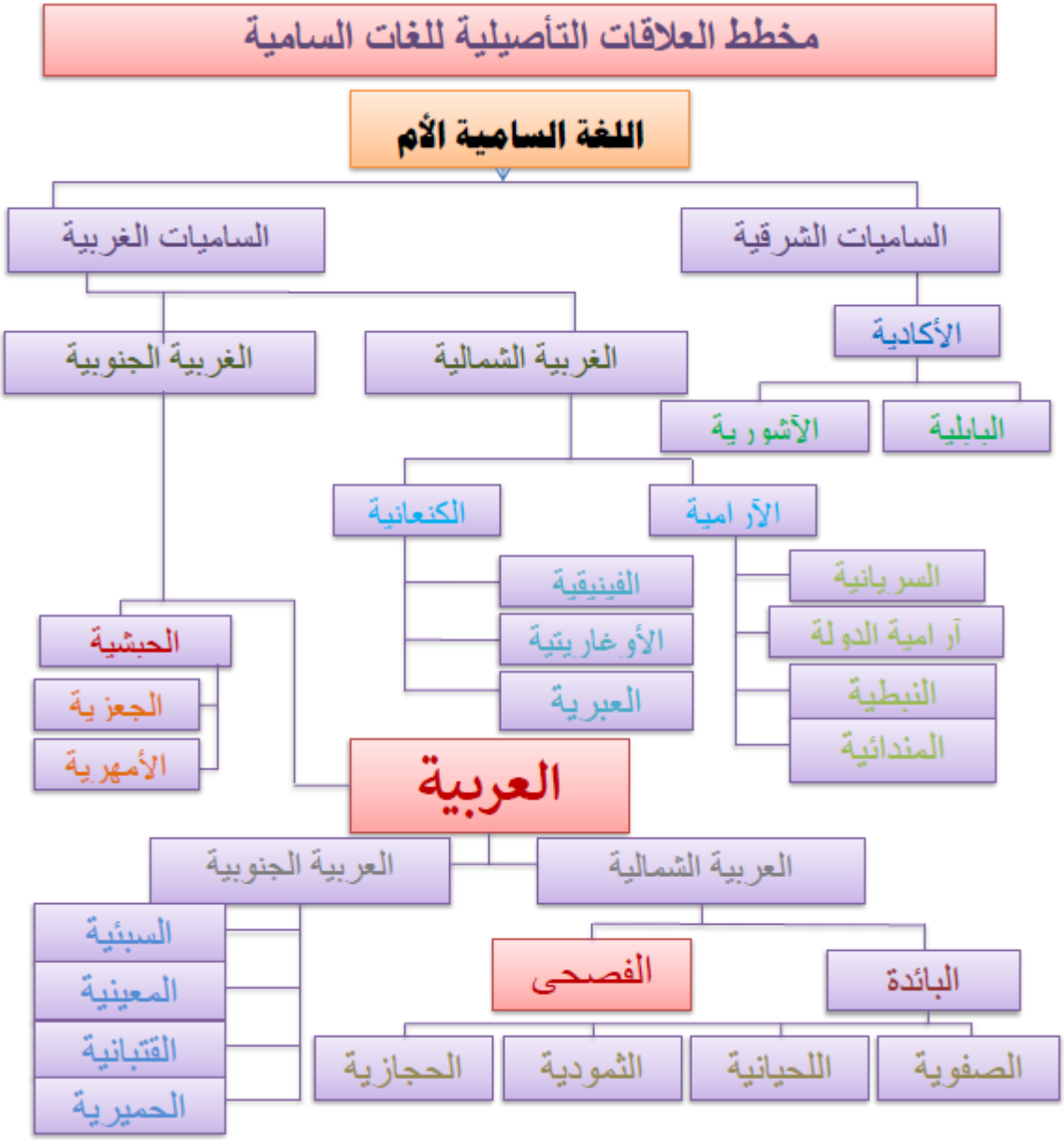

جدول يبين موقع اللغة العربية بين شقيقاتها من اللغات السامية

أهمية الدراسات السامية:

تأتي أهمية الدراسات السامية لتوضح لنا معرفة اللغات السامية وآدابها، وتفسر لنا الكثير من الموضوعات والمضامين الواردة في التراث العربي قديمه وحديثه ويشمل ذلك أيضًا فهم تراث بني إسرائيل، والكتب المقدسة لليهودية والمسيحية، وقصص الشرق الأدنى القديم، مما يساعدنا على الكشف عن العديد من الإسرائيليات التي دخلت- دون علم المسلمين - في تراثهم وفهم وتفسير القرآن الكريم، وبالتالي فإن تنقية تفاسيرنا من هذه الشائعات يتطلب معرفة عميقة بتراث بني إسرائيل ولغاتهم (ربيع، 1422هـ-2001م، ص30-31). كما أن كتاب "العهد القديم" بحاجة ماسة إلى قراءة عربية لمواده، لأنه

يحتوي على مادة يعتقد أنها ذات أصل عربي، كما أن البحث عن بقايا الأدب العربي القديم يجب أن يتناول كتاب العهد القديم باعتباره واحد من المراجع الاساسية للأدب العربي القديم، وأن كتاب الدكتور طه حسين، سباقاً إلى هذه الدعوة عندما قال: "كيف تتم دراسة الادب العربي بشكل صحيح إذا لم تدرس الروابط المادية والمعنوية بين اللغة العربية واللغات السامية، وبين الأدب العربي والأدب السامي؟ وهل هناك طريقة لدراسة الأدب العربي دون فهم ومعرفة التوراة والإنجيل!" (حسين، د.ت، ص17).وللأهمية الكبيرة في دراسة العهد القديم نروي مثلاً قصة سيدنا أيوب التي وردت في سفر أيوب، كواحدة من القصص التي وردت في القرآن الكريم، وباعتبارها رواية شعبية عربية متداولة، فهي تعتبر واحدة من أشهر القصص الشعبية التي لها تأثير عميق على الوجدان. ويُعتبر انتشارها وصياغتها في صور أدبية متعددة دليلاً على ذلك، وفي الواقع، هناك آراء لبعض النقاد المتخصصين في دراسة العهد القديم وفي الدراسات العربية تفيد بأن نسبة قصة أيوب إلى الأصل العربي. فقد ذكر المعجم القديم الذي أعده العالم "جيسينيوس (Gesenius) "أن أيوب هو عربي وليس هناك أي شك في ذلك. وكتب المستشرق "ألفرد جيوم (Alfred Guillaume) "مقالًا بعنوان "الخلفية العربية لسفر أيوب" وقد رد عليه أيضًا المستشرق الإنجليزي "دافيد صموئيل مرجليوث" David Samuel) Margoliouth)، بإعادة السفر إلى أصول عربية (أحمد، 1998، ص106). ومن الاسفار الأخرى التي تعكس أثراً عربياً واضحاً سفر راعوث، وسفر الأمثال أيضاً .....إلخ.

كما أن أهمية البحث في الدراسات السامية تنبع من تفسير العديد من المواضيع والمضامين الموجودة في الشعر العربي القديم، خصوصاً في أشعار أمية بن أبي الصلت، وعدي بن زيد العبادي، والنابغة الذبياني، فأمية ابن أبي الصلت مثلاً: **"**كان عالماً بغير العربية على ما يظهر ، فأطّلع على كتب القدماء وخصوصاً كتاب التوراة، فقد أورد في شعره ألفاظاً غريبة لم تكن العرب تفهمها، وكان يسمي الله تعالى في بعض أشعاره "السلطيط"، وفي بعضها "التغرور"، فربَّما اقتبسهما من الحبشية أو صاغهما على صيغ تلك اللغة، فالأحباش يسمون الله تعالى في اللغة الأمهرية "أغزابهر"، فلعلها كانت قبلاً أقرب إلى لفظ "التغرور"، و"السلطيط" نظنُها صيغة من تلك اللغة صاغ عليها اسماً من السلطة**"** (جرجي، 1911م، ج1، ص132).

أما فمن الناحية النحوية واللغوية، تأتي أهمية الدراسات السامية في توضيح عدّة حقائق تجاه الجذر في بعض الكلمات، ومن الأمثلة على ذلك أنّ الفعل (هَرَاقَ) في اللغة العربية ورد كأنه من الجذر "هرق"، ولكن في حقيقة الأمر هو أنّ الهاء جاءت هنا ليست من أصل الكلمة، وإنما هي في الأصل هاء على وزن (هَفْعَل)، ويعتبر هذا الوزن من الأوزان القياسية التي ترد في اللغات العبرية والعربية الجنوبية، ويأتي بالمقابل لها وزن (أَفْعَل) في العربية الشمالية (موسكاتي، 1993م، ص215). ولعل تطابق الفعل (أراق) مع الفعل (هراق) في نفس المعنى يفسر لنا أنّ الفعل الأول جاء بوزن (أَفْعَلَ) وأن الفعل الثاني جاء بوزن (هَفْعَلَ)، ويعتبر الوزنين كلاهما يستخدم للتعدية في أغلب اللغات السامية.

وللدراسات السامية المقارنة أهمية كبرى أيضاً في تأصيل بعض الألفاظ التي زُعِمَ أنها دخيلة من لغات أخرى، بينما هي في حقيقة أمرها عربية الأصل، ومن الأمثلة على ذلك مثلاً لفظة (المئزاب)، حيث اختلفت الآراء حول أصلها، إذ قال بعضهم إن لفظة (المئزاب) عربية الأصل، بينما يرى آخرون أنها لفظة فارسية معرّبة، وكان الأصمعي من دعاة الرأي القائل بأن هذه اللفظة فارسية معرّبة، وذكر الجواليقي في المعرَّب أنّ "أبا حاتم قال: وسألت الأصمعي عن المئزاب، والجمع المآزيب، فقال: هذا فارسي معرَّب، وتفسيره (ماز آب) كأنه الذي يبول الماء، وقد أستعمله أهل الحجاز، وأهل المدينة، وأهل مكة يقولون: صلى تحت الميزاب" (الجواليقي، 1969م، ص326). كذلك ذهب "آدي شير" إلى أنّ المئزاب مركب من ميز أي بول ومن آب أي الماء وسبب التسمية ظاهر" (شير، 1990م، ص 149). أما أنصار الرأي القائل بعربية هذه اللفظة منهم ابن فارس، فهو ينسب مادة "أزب" معنى القصر والدقة ونحوهما، ثم يقول: "ومن هذا القياس المئزاب والجمع المآزيب، وسمي لدقته وضيق مجرى الماء فيه (ابن فارس، 1969م، ج1، ص100-101). ويرى الدكتور السيد يعقوب بكر، أنه يوجد في الحبشية أزب بمعنى سال (الماء)، كما في العربية تماماً؛ ولكن لم يرد هذا الفعل الحبشي إلا في وزن (استفعل)، فاتفاق

العربية والحبشية في أزب الماء بمعنى سال يؤكد أن (المئزاب) كلمة عربية الأصل من (أزب) بمعنى سال (بكر، 1969، ص97-98).

وتتجلى أهمية البحث السامي بوضوح في مقارنة اللغة العربية مع اللغات السامية الأخرى، لأن ذلك يؤدي إلى استنتاجات لغوية لم نكن لنتوصل إليها، واحكام لغوية لم يكن من الممكن التوصل إليها لو اقتصر بحثنا على دراسة اللغة العربية فقط، فلعل السبب وراء تقدم المستشرقين في فهم ودراسة اللغة العربية هو إنهم يقرؤون اللغة العربية ليس فقط كلغة عربية، ولكن لأنهم يقرؤونها في سياق اللغات السامية، ومن هنا مثلاً جاء اختلاف القراء في قراءتهم لكلمة "فومها" الواردة في قول الله تعالى: (**فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا**) (البقرة: 61)، فقد قرأها حفص بالفاء، بينما قرأها ابن عباس وابن مسعود بالثاء (شاهين، د.ت، ص381). والسؤال المطروح هنا هو: هل أصل الكلمة في العربية بالثاء أم بالفاء؟ والإجابة عن هذا السؤال تكون بمقارنة هذه اللفظة مع نظائرها في اللغات السامية الأخرى، وذلك أن الشين في العبرية تقابل التاء في الآرامية السريانية، وتقابل الشين في الأكادية، والثاء في العربية، وتلك قاعدة مطّردة (موسكاتي، 1993م، ص80). وبالتالي فإن كلمة (שׁוּם) في العبرية تقابل (תּוּמָא) في الآرامية، وتقابل (ܬܘܡܐ) في السريانية، و(šumŭ) في الأكادية، و(ثوم) في العربية (Brown, 1962, P1002). وبناءً على ذلك فإن أصل هذه اللفظة في العربية بالثاء وليس بالفاء، ويبدو أن سبب ورودها بالفاء هو من قبيل إبدال الحروف في العربية، وإقامة بعضها مكان بعض، وقد ذكر ذلك السيوطي في كتابه (المزهر)، أمثلة متعددة للإبدال بين الثاء والفاء منها على سبيل المثال: (الحُثَالة والحُفَالة)، بمعنى الرديء في كل شيء، وذكر من الأمثلة أيضاً: اللِّثَام واللِّفَام، والأثافي والأثاثي، والثُوم والفُوم، ..... إلخ (السيوطي، د.ت، ج1، ص465).

وخلاصة القول أن معرفة التراث السامي بلا شك له دوره الكبير في فهم الكثير من القضايا الأدبية واللغوية التي يشكل تفسيرها إذا ما أمعنا النظر إليها داخل إطار لغتنا وأدبنا العربي، وبناءً إلى هذه الحقائق العلمية فلا بد من التأكيد على ضرورة الاهتمام باللغات السامية بصورة عامة، ودراسة اللغة العربية في ضوء هذه اللغات بصورة خاصة لما في ذلك من الفائدة العلمية الكبيرة في فهم العربية أدباً ولغةً.

ونحن إذ ندعوا إلى الاهتمام بدراسة اللغات السامية وعلاقتها باللغة العربية، نجدد الدعوة التي اطلقها علماء اللغة بضرورة إتقان وفهم اللغات السامية، ومعرفة آدابها، ودراسة العلاقات المادية والمعنوية بين اللغة العربية والأدب القديم من جهة، واللغات والآداب السامية القديمة من جهة أخرى، فأن التعامل مع هذه اللغات والاهتمام بها يعتبر المصدر الثاني للحياة العربية القديمة بعد القرآن الكريم وما جاء به الرسول الكريم من الحديث الشريف، إضافة إلى الشعر والأدب العربي الأصيل. فأمة العرب جزء أساسي ومهم من الشعوب السامية، وكل ما قيلَ ويقال عن جميع مفاصل الحياة السامية القديمة ينطبق وبشكل كبير على الحياة العربية القديمة أيضاً.

خصائص اللغة العربية في ضوء اللغات السامية:

تعتبر اللغة العربية كإحدى شقيقاتها من اللغات السامية الأخرى، فقد مرت بمراحل متعددة من الازمان والأجيال والقرون، غير أن الباحثين لم يعثروا على أسرار وأطوار تلك المراحل والأطوار التي مرت بها اللغة العربية، بسبب طبيعة المكان الذي كان يعيش فيه العرب، حيث رمال الصحراء التي ابتلعت تلك الاسرار وتلك الأطوار مع ما دفن فيها من آثار، فاللغة العربية تعتبر من أقدم اللغات السامية نشأة، رغم أن كل ما وصلنا من آثارها اللغوية يرجع إلى فترة متأخرة كثيراً عن غيرها من اللغات السامية؛ حيث أن أقدم ما عُثِرَ عليه من نصوصها يرجع إلى سنة 328م، (إنّ أقدم نص للعربية الفصحى نفسها هو نقش "النّمارة" الذي عثر عليه إلى الجنوب الشرقي من دمشق، والذي يرجع إلى 328م، ولكنه مكتوب بالخط النبطي، أمّا الخط العربي، فهو مشتق من الخط النبطي، فيظهر بعد ذلك في ثلاثة نقوش عربية أخرى هي: نقش زَبّد، ونقش حرّان، ونقش أم الجمال، وتعتبر هذه النقوش الأربعة أقدم ما كتب بالعربية الفصحى، حيث يرجع أولهما إلى القرن الرابع الميلادي، والثلاثةُ الأخرى ترجع إلى القرن السادس الميلادي)، (ولفنسون، 1980م، ص190، وانظر أيضاً، بكر، 1969م، ص9). وليس معنى هذا أنّ اللغة العربية لم تكن موجودة قبل ذلك الوقت، أو أنها أحدث من شقيقاتها السامية، بل تؤكد لنا الدراسات السامية

المقارنة أنّ اللغة العربية قد احتفظت بعناصر قديمة ترجع إلى السامية الأم أكثر مما احتفظت به الساميات الأخرى، ويجب الأخذ بالاعتبار أيضاً أن الكتابة ليست المقياس الوحيد لعمر لغة ما، فالإنسان تكلم أولاً ثُمَّ كتب ثانياً وليس العكس.

وبناءً إلى ما وصل إلينا من آثار اللغة العربية رغم ما مرت به من مراحل مختلفة يمكن تقسيمها إلى مجموعتين: العربية البائدة؛ والعربية الباقي، فأما العربية البائدة: فيمثلها مجموعة من النقوش التي عُثِرَ عليها في شمال الحجاز على مقربة من حدود الآراميين، ويلاحظ على هذه النقوش شدة احتكاكها باللغات الآرامية لذا فقدت كثيراً من مقوماتها الأصلية، هذا بالإضافة إلى أنّ هذه النقوش على ندرتها فهي قليلة الغناء.

أما العربية الباقية: فهي التي تنصرف إليها كلمة العربية عند إطلاقها وقد نشأت هذه اللغة ببلاد الحجاز ونَجْد، وانتشرت فيما بعد إلى العديد من المناطق التي كانت تتكلم بها من قبل أخواتها من اللغات السامية والحامية، ولا نعرف شيئًا عن الفترة الأولى لهذه اللغة، إذ لم يجد العلماء في أرض نجد والحجاز الأصلية أي دليل كتابي أو وثائقي يدل على ظهورها الأول، ويعتبر الادب الجاهلي هو أقدم ما وصل إلينا من آثارها، من خلال الشعراء والحكماء في تلك الفترة، وهو عصر ما قبل الإسلام، ولكن لم يتم جمعها وتدوينها حتى القرون الأولى من العصر الإسلامي، حيث يعود أقدم تاريخ لهم إلى القرن الخامس الميلادي .وفي تلك الفترة اكتملت اللغة العربية وأصبحت قوية بعد أن مرت بمراحل عديدة من التطور والنماء، وقد حازت لهجة قريش التي تعتبر أحد لهجاتها على السمعة الكبيرة في تلك الفترة وتغلبت على غيرها من اللهجات الأخرى، واستأثرت بميادين الأدب شعرها وخطابتها ونثرها في مختلف القبائل العربية (ولفنسون، 1980م، ص64، وما بعدها، وأنظر أيضاً، وافي، 2004م، ص79، وما بعدها). وذلك أن لغة قريش هذه قد تهيَّأت لها أسباب السيادة؛ لما كان لأصحابها من مكانة ونفوذ في مختلف المجالات (الدينية والسياسية واللغوية)، فقد ترتَبَ على تغلب لغة قريش على بقية اللهجات العربية الأخرى أن أصبحت لغة الآداب عند جميع قبائل العرب، ففيها كان ينظم الشعر، وتلقى الخُطَب، وتدون الرسائل، وتجري المناقشات في النوادي والمؤتمرات في مختلف بلاد العرب ومختلف قبائلها، وقد تم لها ذلك قبل بعثة الرسول (صلى الله عليه وسلم) بزمن غير قصير، فلا غرور بعد ذلك كله إذا نزل القرآن الكريم بلغة العرب المثالية، وبارك توحدها، وسما بها إلى الذروة العليا من الكمال بعد أن كانت لهجة محدودة لإحدى قبائل العرب (سحاب، 1992م، ص226-230).

ومن المعلوم ان لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق نظرية أن اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها، وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أي لغة سامية أخرى، ومن أصحاب هذا الرأي (آرنست رينان) مؤلف كتاب "التاريخ العام للغات السامية"، حيث يقول فيه: "إن من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القوية (اللغة العربية)، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحارى وعند أمة من الرُحَّل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها، ولقد كانت هذه اللغة مجهولة، ولكنها من يوم عُلِمَت ظهرت لنا في حلل الكمال وإلى درجة أنها لم تتغير أي تغير يذكر، حتى إنّها لم تُعرَف في كل أطوار حياتها، لا طفولة ولا شيخوخة، ولا نكاد نعلم من شأنها إلا فتوحاتها وانتصاراتها، التي لا تبارى، ولا نعلم شبهاً لهذه اللغة التي ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة" (Renan, 1863, p341).

وقد أشار إلى ذلك أيضاً (بروكلمان) في وصفه اللغة العربية قبل الإسلام إلى أنها: "تتميز بثروة واسعة في الصور النحوية، وتعد أرقى اللغات السامية تطوراً من حيث تراكيب الجمل ودقة التعبير، أما المفردات فهي فيها غنية غنى يسترعي الانتباه، ولا بدع فهي نهر تصب فيه الجداول من شتى القبائل، حتى بَهُر ثراؤها علماءَ اللغةَ ومؤلفي المعاجم وصار هذا البدوي القوي الملاحظة قادراً على أن يصور بلغته كل دقائق الحياة الصحراوية والصفات والحيوان إلى غير لك من الأمر، ولقد كانت اللغة العربية قادرة على الإيضاح عن أرقى عواطف الحب والشوق وما ماثلها، وعلى الرغم من نزعتها الواقعية فلها روعة شعرية فتانة" (الجندي، 1402هـ-1982م، ص29).

أما (جوج بوست) فيقول: "لغة العرب تفوق كل لغة في الانتشار إذا نظرنا إلى اتساع الأقطار التي لها فيها سلطان، وهي تفوق أيضاً كل لغة إذا نظرنا إلى التأثير في مستقبل الأعمال البشرية". وعزز هذه

الأقوال أيضا العالم (فان ديك) بقوله: "العربية أكثر لغات الأرض امتيازاً، وهذا الامتياز من وجهين: الأول: من حيث ثروة معجمها، والثاني: من حيث استيعاب آدابها" (الجندي، 1402هـ-1982م، ص308).

الخصائص التي تجعل من اللغة العربية الممثلة الأولى للغات السامية:

تعتبر الدراسات السامية المقارنة خير مقياس يمكن من خلاله المفاضلة بين أفراد أسرة اللغات السامية، إذ إنَّ الدراسات السامية (التاريخية – واللغوية)، أكدت على وجود مجموعة من الأدلة والخصائص التي تجعل من اللغة العربية الممثلة الأولى للغات السامية، وأقربها إلى السامية الأم، ويمكن إيجاز هذه الأدلة والخصائص على النحو التالي:

أولاً: أن اللغة العربية لم تسبقها لغات أخرى في شبه الجزيرة العربية التي يُرجَح أنَّها المهد الأول الذي انطلقت منه الشعوب السامية، فاللغة العربية هي اللغة الأولى والأصلية لشبه الجزيرة منذ بداياتها في بلاد ما بين النهرين القديمة وحتى يومنا هذا، فقد عاش الساميون الأكاديون مع السومريين لعدة قرون قبل الأكاديين الذين انتصروا عليهم، كما تواجدت اللغة العبرية التي عاشت طيلة تاريخها بحالة من الازدواجية اللغوية، لأنها شملت اللغة العبرية ولغة أخرى هي لغة الدولة التي تعيش فيها إحدى الجماعات اليهودية بعد الشتات، ففي فلسطين، كانت هذه المنطقة من صنع العديد من اللغات التي تعيش معًا، كالكنعانية، والفينيقية، والموآبية، بالإضافة إلى لهجات عديدة؛ شهدتها تلك المنطقة، سواء في داخلها أو على حدودها، مثل الآرامية والعربية، ثم أخذت الآرامية تحل شيئاً فشيئاً محل العبرية والفينيقية وسائر اللغات السامية الأخرى في المنطقة، وكان من أكبر الصعاب في وجه إحياء اللغة العبرية بعد العودة من المنفى أن جانباً من الشعب هجر لغته فعلاً (موسكاتي، 1997م، ص152).

واللغة العربية لم تشهد في تاريخها نقطة انكسار مثل تلك التي شهدتها اللغة العبرية، فقد بقي العرب في شبه الجزيرة واستخدموا نفس اللغة، ولم تشهد أي انقطاع، ومع ظهور الإسلام انقرضت اللغات السامية القديمة، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة المنطوقة والمكتوبة في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم.

ثانياً: لقد بقيت اللغة العربية لغة الجزيرة العربية، بعيدة عن التأثيرات الأجنبية، إذ لم يذكر أن شاركها أحد الحياة في الجزيرة العربية أو زاحمهم عليها، أو لم يصل إليها قط، فكلما تعمقت في داخل الجزيرة العربية، كلما ازدادت اللغة أكثر وضوحًا وأصالة، إذ أصبحت لغة الصحراء معزولة عن المدن الحضرية المؤثرة سواء في الداخل أو في الخارج، أو في المناطق الساحلية، حيث كان العرب يتصلون بالشعوب المحيطة بحركة التجارة العالمية، وقد صنف اللغويون الشعوب العربية بحسب نقاء لغتهم، التي يعتبرها البعض معياراً للغة العربية الفصحى، وقد حصروا عملية جمع اللغة في نطاقها، ولم يجمعوها على أساس القبائل الغير عربية التي اختلطت معهم، أو وقعت على الحدود القريبة من مناطق الجزيرة العربية وأثرت عليهم.

وقد نقل السيوطي عن كتاب "الألفاظ والحروف"، لإسحاق بن إبراهيم الفارابي قوله: (والذين نقلت عنهم اللغة العربية، وبهم أقتدي، وعنهم أُخِذَ اللسان العربي من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد؛ فإنَّ هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أُخِذَ، ومعظمه وعليهم اتُّكِلَ في الغريب وفي الإعراب والتصريف؛ ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم، وبالجملة فإنهُ لم يؤخذ عن حضري قط، ولا عن سكان البراري ممن يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم؛ فإنهُ لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط؛ ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية؛ ولا من تغلب واليمن؛ فإنَّهم كانوا بالجزيرة العربية مجاورين لليونان؛ ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس، ولا من أهل اليمن لمخاطبتهم للهند والحبشة؛ ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم، والذي نقل اللغة واللسان العربي عن هؤلاء وأثبتها في كتاب فصيَّرها علماً وصناعةً هم أهل البصرة والكوفة فقط من أمصار العرب) (السيوطي، د.ت، ج1، ص211). ونص السيوطي الآنف الذكر فيه تحريف في موضعين: الأول: في قوله: (ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية)، والصواب: (يقرؤون بالآرامية). والثاني: في قوله: "ولا من تغلب واليمن؛ فإنَّهم كانوا بالجزيرة العربية

مجاورين لليونان؛ ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس"، والصواب: (النَمِر بدلاً من اليمن، وللنبط بدلاً من للقبط). أنظر: (عبد التواب، 1995م، ص222-223).

ثالثاً: لقد احتفظت اللغة العربية بالعديد من السمات والخصائص اللغوية القديمة التي لا تتوفر في أغلب اللغات السامية الأخرى، على مختلف **المستويات الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو الدلالية.**

فعلى المستوى الصوتي: إن الناظر في اللغة العربية يجدها أكمل اللغات السامية وأحفظها لكل الأصوات التي افترض العلماء أنها أصوات اللغة السامية الأولى، فالعربية مثلاً تضم من أصوات الحلق وأصوات الإطباق عدداً أكبر من باقي اللغات السامية، ويميل أكثر الباحثين إلى اعتبار أصوات الحلق الموجودة في اللغة العربية أصدق تعبيراً عن اللغة السامية الأولى، وليس ثمة لغة سامية أخرى تضم جميع أصوات الحلق الموجودة في اللغة العربية باستثناء العربية الجنوبية القديمة والأوغاريتية (موسكاتي، 1993م، ص80). كذلك يقل عدد أصوات الحلق في اللغات السامية الأخرى كالعبرية والآرامية، إذ إنّ صوت الخاء غير موجود في هاتين اللغتين، اللتين تستخدمان عوضاً عنه صوت الحاء، أي أن صوت الحاء في هاتين اللغتين يمثل صوت الحاء وصوت الخاء معاً في العربية، وبالمثل فصوت الغين غير موجود في هاتين اللغتين وينوب عنه صوت العَين، واللغة الأكادية تعتبر أكثر اللغات السامية التي فقدت أغلب أصوات الحلق، والتي لم يبقَ فيها من تلك الأصوات إلا صوتان هما الهمزة والخاء (كابلس، 1995م، ص121). ويبدوا أن التغيرات التي حدثت في اللغات السامية الآنفة الذكر قد قلّلت من استخدام عدد من أصوات الحلق، واللغة العربية ساهمت وبشكل كبير وواضح في الاحتفاظ كما أسلفنا بمجموعة أصوات الحلق كاملة، لذلك تعتبر اللغة العربية في هذا الميدان لها السبق الأكبر للوصول للغة السامية الأولى، وفيما يتعلق بأصوات الإطباق، والتي هي: (القاف، و الصاد، و الضاد، و الطاء، و الظاء)، فعددها قليل أيضاً عند بعض اللغات السامية الأخرى، وإذا كانت هذه الأصوات كاملة وغير ناقص منها شيء في الأوغاريتية وفي العربية الجنوبية القديمة أيضاً فأن أغلب اللغات السامية الأخرى تحتوي عدداً ولكن أقل منها، والأصوات الأكثر ثباتاً عند مختلف هذه اللغات هي: (الصاد والقاف والطاء)، التي توجد في كل اللغات السامية القديمة (موسكاتي، 1993م، ص81). في حين تعرَّضت (الظاء والضاد) للتغير الصوتي في عدد من هذه اللغات السامية، وخلاصة القول أن الإطباق الموجودة في اللغة العربية تعتبر حلقة وصل بأصوات الإطباق المعروفة في اللغة السامية الأولى، لذا فإنّ ما قاله المستشرق الألماني "برجشتراسر" كان مصيباً حين قال: " إن اللغة العربية رغماً لطول الزمان الماضي عليها، قبل بروزها في ميدان التاريخ، قد حفظت الحروف الأصلية حفظاً أتمّ من سائر اللغات السامية الأخرى، ما عدا الكتابات اليمانية العتيقة، أي لغة معين وسبأ ... إلى آخره" (برجشتراسر، 1997م، ص23).

وأما على المستوى الصرفي: فلعل ما يميز اللغة العربية هو غنائها بالأبنية بوصفها آليه فريدة تمكّنها من التعبير عن المعاني الكثيرة بمجموعة من المباني المحددة، فضلاً عن آلية الاشتقاق التي تمكّنها من توليد عدد غير محدود من المادة الواحدة، ففيما يتعلق بالأوزان نجد أن اللغة العربية مثلاً انفردت بكثير من الأوزان الصرفية، مثل: وزن "فَعْلَة" وهي اسم المرّة، ووزن "فِعْلَة" وهو اسم النوع، إذ لا يوجد نظيرهما في كل اللغات السامية، كذلك فوزن "أَفْعَل" في معنييه وهما: (التفضيل واللون أو العيب)، غير موجود في أي لغة أخرى من اللغات السامية، بما فيها الحبشية، فهو مرتجل في العربية جديد (برجشتراسر، 1997م، ص104).

واللغة العربية لم تكتفِ بصيغ قليلة مثل سائر اللغات السامية، بل كانت تميل إلى كثرة الأشكال والتفنن في الصيغ الكثيرة، وأما فيما يتعلّق بالاشتقاق فإنَّ أكثر اللغات السامية أمسكت عن اشتقاق الأسماء الجديدة في زمان قديم جداً إلا على القليل من الأوزان، فأصبحت جملة أسمائها محدودة لا يزاد عليها إلا القليل في المدَّة الطويلة، فاشتقاق الأسماء فيها ميت أو قريب من الميت، على عكس اللغة العربية التي استمرَّ طوال تاريخها في اشتقاق الأسماء الجديدة الكثيرة على الأوزان المتنوعة. ومما تمتاز به اللغة العربية عن سائر اللغات السامية أيضاً: "تخصيص معاني الفعل وتنويعها، وذلك بواسطتين: إحداهما: اقترانها بالأدوات نحو (قد فعل)، و(قد يفعل)، و(سيفعل). والثانية: تقديم فعل (كان) على اختلاف صيغه، نحو: (كان قد فعل)، و(كان يفعل)، و(سيكون قد فعل)، إلى آخر ذلك، فكل هذا ينوّعُ معاني الفعل تنويعاً أكثر بكثير مما يوجد في أي لغة كانت من سائر اللغات السامية" (برجشتراسر، 1997م، ص101).

وعلى المستوى النحوي: يعتبر نحو اللغة العربية من أكمل صور النحو السامي وأكثره تفصيلاً، كما احتفظت اللغة العربية بظاهرة الإعراب في صورة كاملة بخلاف اللغات السامية التي لم تعرف هذه الظاهرة في صورتها الكاملة، أو عرفتها ثم فقدتها تماماً مثل الأكادية والحبشية. ويرى المستشرق الألماني: "يوهان فك" أنّ حركات الإعراب هي صفة من صفات العربية وسمة من أقدم سماتها اللغوية، والتي فقدت في أخواتها الساميات باستثناء البابلية القديمة، قبل عصر نموها وازدهارها الأدبي (يوهان فك، 1400هـ-1980م، ص15). وعنده أن العربية حافظت في مختلف عصورها على هذه الظاهرة بالرغم من ظهور اللحن واللهجات الإقليمية في الحواضر.

وفي المستوى الدلالي: (فإن أهم ما يميز اللغة العربية عن أخواتها الساميات بأنها أكثرهم ثروة في كمية الكلمات والمفردات، حيث تتوافر فيها جميع الأصول التي تتوافر وتنطبق على أخواتها السامية أو على معظمها، وتتفوق عليها أيضاً بأصول كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول، فلا يوجد لها شبيه في أية لغة من أخواتها الاخريات، حيث أنها قد تجمَّع فيها من المفردات على مختلف مسميات الكلمة اسمها وفعلها وحرفها، ومن المترادفات أيضاً في الأسماء والصفات والأفعال .... إلخ، ما لم يتوافر مثل هذا الصفات والمميزات في أي لغة سامية أخرى) (وافي، 2004م، ص131).

ولعل ما ذهب إليه (جوستاف جرونيباوم) يلخص لنا خصائص اللغة العربية، وما تمتاز به عن سائر اللغات حيث يقول: (وما من لغة تستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها، فهي الوسيلة التي اختيرت لتحمل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوَّةٍ وبيان، أما السمعة فالأمر فيها واضح، ومن يتتبع جميع اللغات لا يجد فيها، على ما سمعته، لغة تضاهي اللغة العربية، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وتُزَيِّنُ الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، والعربية تمتاز أيضاً بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإنّ ما بها من كنايات، ومجازات، واستعارات، ليرفعها كثيراً فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة خصائص جمَّة في الأسلوب والنحو ليس من المستطاع أن يكتشف لها نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبيّن ذلك أنّ الصورة العربية لأي مثل أجنبي أقصر في جميع الحالات. وقد قال الخفاجي عن أبي داود المطران، وهو عارف باللغتين العربية والسريانية: "أنَّه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السريانية قبحت، وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوة وحُسْناً". وإنَّ الفارابي على حق حين يبرر مدحه العربية بأنها من كلام أهل الجنَة، وهو المنزَّهُ بين الألسنة من كل نقيصة، والمعلَّى من كل خسيسة، ولسان العرب أوسط الألسنة مذهباً وأكثرها ألفاظاً) (الجندي، 1402هـ-1982م، ص306). أما (كارلو نلينو) فيلخص رأيه عن محاسن اللغة العربية بأن: (اللغة العربية تفوق جميع اللغات رونقاً، ويعجز اللسان عن وصف محاسنها) (الجندي، 1402هـ-1982م، ص308).

ونتيجة لما تم الحديث عنه حول خصائص اللغة العربية في منظور اللغات السامية، نستطيع القول بأن علماء اللغة العربية القدامى قد عرفوا اللغات السامية كالعبرية والسريانية والأوغاريتية ... وغيرها من اللغات الأخرى، وأخبرونا عن خصائصها والعلاقة التي تربط بينها وبين اللغة العربية، فلم يكن ذلك هو المهم، ولكن الهدف الاسمى الذي كانوا يعملون عليه هو لتمييز هذه اللغات التي تجمعها خصائص مشتركة عن غيرها من الفصائل اللغوية الأخرى، كاللغات الهندية والأوربية والطورانية والكوشية .... وغيرها.

وخلاصة القول يمكن ان يتبين لنا أنّ النتيجة الأساسية التي توصلت إليها أغلب الدراسات والبحوث على المستوى اللغوي المقارن، والتي أعطت وضعاً مميزاً للغة العربية في جوانب عدة كان أهمها الدراسات اللغوية السامية المقارنة، باعتبارها تمثل الركيزة الأساسية لهذه الدراسات، كونها لا تزال تحتفظ بأكبر عدد ممكن من الظواهر اللغوية التي اندثرت من أغلب اللغات السامية، ممّا يجعلها أصلاً لهذه اللغات، وهذا ما دفع العديد من الباحثين ومنهم المستشرقين على وجه الخصوص إلى اعتبار اللغة العربية أصلاً للغات السامية القديمة، وعليه ذهب نولدكه في كتابه حول اللغات السامية إلى قوله: (إنه ومن الضروري عند دراسة مقارنات اللغات السامية البدء باللغة العربية، وذلك بأن نعمل على ما فيها من خصائص ومميزات وقواعد ودراسة كيفية النطق بألفاظها وما إلى ذلك، لنقف بذلك على ما بين هذه اللغات من

مفارقات ومطابقات) (نولدكه، 1963م، ص7). ولا بأس في رأيه، من الاستعانة باللهجات الحالية أيضاً، لأنها مادة مساعدة جداً ومفيدة كثيراً في الكشف عن خصائص اللغات السامية وعن مميزاتها وتطورها في مختلف العصور. كما يؤكد نولدكه قوله أيضاً في موطن آخر على أن: "مقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن تبدأ حقاً من العربية، على أن يراعى في التفاصيل كل قريباتها الأخريات، طالما كنَّ معروفات لنا" (نولدكه، 1963م، ص5).

الخصائص المشتركة والغير مشتركة بين اللغات السامية:

أن من أهم الدوافع والأسباب التي دعت علماء اللغة على تقسيم لغات العالم إلى مجموعات هي تلك الخصائص التي تتشابه فيما بينها، وتشترك بها دون اللغات الأخرى، فتجعلها أسرة لغوية واحدة، فمن بين الأسر اللغوية التي شاع ذكرها نتيجة لهذا التقسيم أسرة اللغات السامية، فقد لاحظ علماء المقارنات اللغوية أن أسرة اللغات السامية تمتاز بمجموعة من الخصائص التي تشترك فيها هذه اللغات، وبالإمكان أن نجمل هذه الخصائص في أربعة أقسام هي: الأصوات، وبناء الكلمة، وبناء الجملة، والألفاظ الأساسية. "ففيما يتعلق بالأصوات نجد أن اللغات السامية تضم مجموعة من أصوات الحلق، وأصوات الأطباق، (بدرجات متفاوتة)، وأمّا فيما يتعلق ببناء الكلمة فإنّنا نجد أنَّ البناء الذي تقوم عليه الكلمة في اللغات السامية يقوم على قاعدة الصوامت، أمّا الصوائت فمهمتها تحديد الإطار الدلالي الذي حددته الصوامت، وفيما يتعلق ببناء الجملة، يلاحظ أن اللغات السامية الأولى لم تكن تعرف استخدام الجمل طويلة، بل كانت الجمل طويلة ومعقدة، وفيما يتعلق بالمفردات الأساسية فيلاحظ أن هناك ألفاظاً أساسية تشترك فيها اللغات السامية كالألفاظ الدالة على الأسرة، وجسم الأنسان وتسمية الحيوان والنبات، والأعداد .... إلخ" (حجازي، 1973م، ص139-150، وانظر أيضاً، ولفنسون، 1980م، ص14-17).

فعلى الرغم من كثرة الخصائص المشتركة التي تجمع بين أسرة اللغات السامية فإنّ هناك بعض وجوه الاختلاف في القواعد والأصوات والمفردات، فمن وجوه الاختلاف في القواعد أنّ أداة التعريف في العربية(أل)، وتأتي في أول الكلمة، أما أداة التعريف في العبرية وفي بعض اللهجات العربية البائدة هي (الهاء)، وتأتي في أول الكلمة أيضاً، "يظهر ذلك في اللحيانية العربية حيث إن أداة التعريف فيها هي (الهاء) في العادة، غير أنها تظهر قبل الألف والعين في صورة (هن) بصفة مطردة" (Chaim, 1951, P35). ووفقاً لذلك نلاحظ أنّ أداة التعريف في السبئية هي حرف (النون)، وتأتي آخر الكلمة، وفي اللغة السريانية الألف الممدودة (ܐ)، وتأتي في نهاية الكلمة أيضاً، أمّا في الأكادية (البابلية الآشورية)، والحبشية فلا أداة للتعريف فيها، ومن أوجه الخلاف أيضاً علامة الجمع: فهي في العبرية (ים)، للمذكر (ות) للمؤنث، وفي الآرامية نجد أنّ علامة الجمع هي (ܐ) (ولفنسون، 1980م، ص19، وانظر أيضاً، نولدكه، 1963م، ص26-27). في حين تستخدم اللغة العربية في جمع المذكر (الواو والنون) في حالة الرفع، و(الياء والنون) في حالة النصب والجر في آخر الكلمة، كما تستخدم جمع تكسير لكل من الجنسين.

أما الاختلاف في المفردات فيبدوا حتى في بعض الأسماء التي كانت مدلولاتها شائعة عند جميع الشعوب السامية، مثل: شيخ، جبل ، خيمة، صبي .... إلخ، فقد لاحظ (جويدي) مثلاً أنّ كلمة (نهر) توجد بلفظها هذا على وجه التقريب في جميع اللغات السامية، في حين تختلف الكلمة التي تدل على الجبل في هذه اللغات؛ فهي في العبرية (הַר)، وفي الآرامية (ܛܘܪܐ)، وفي الأكادية (šadû) (نولدكه، 1963م، ص26). وقد ذهب بعضهم إلى تفسير هذه الظاهرة بأنها ناجمة عن هجران هذه المفردات في سائر اللغات السامية وبقائها مستعملة في إحدى أخواتها (كمال، 1988، ص22).

أثر اللغات السامية في اللغة العربية:

بعد كل ما تم البحث والتحقيق عنه تبين بعد اتفاق جميع الباحثين واللغويين أنه لا يوجد بين اللغات السامية لغة واحد يمكن القول إنَّها لغة سامية متكاملة ونقية وأنَّها لم تتأثَّر باللغات الأجنبية الأخرى التي تنتمي إلى مجموعات لغوية لم تكن من السامية، وأنَّ قضية كون لغة ما من لغات العالم متكاملة ولا تخلو من النقص ولا تخلوا من الألفاظ والعبارات والكلمات الدخيلة عليها، قضية لا يمكن أن يبوح بها طالب علم، فاللغات السامية إذا كانت قد تأثرت باللغات الأخرى لأسباب عدة كاختلاطها بالشعوب القريبة منها، واتصال المتكلمين بها بعضهم من بعض نتيجة ذلك الاختلاط، فإنَّه لا بد أن يكون هذا الاختلاط قد أثر بعضها في

بعض، وهذا ما نجده في كل لغة من اللغات السامية باكتسابها ألفاظاً أخذتها من لغات أخرى من اللغات السامية الشقية لها أو من الشعوب القريبة منها.

وبما أن اللغة العربية فرع أصيل من فروع اللغات التي يطلق عليها تسمية أسرة (اللغات السامية)، لذا نجد أن الحكم بأنّ لغة من لغات أسرة لغوية واحدة أقدم من غيرها من اللغات الأخرى من نفس الأسرة جد صعب، وفي إطار أسرة اللغات السامية يقرّ (نولدكه) فيما يختص بالمفردات أن عدداً كبيراً منها يرجع أصله إلى اللغة السامية الأولى، بيد أنه يقر مع ذلك أن الخطأ في هذا المجال محتمل بسبب البناء الاستقلالي للكلمات في كل لغة قياساً أو بسبب الاستعارة القديمة جداً (نولدكه، 1963م، ص12-15).

وهذا القدر المشترك من المفردات السامية لا يمكن نسبته إلى لغة دون لغة، ومن ثمَّ فاللغة العربية منها ما لغيرها من أخواتها الساميات لا سيَّما إذا وضعنا في الاعتبار أنَّ علماء الساميات لا يجمعون على قول في أقدم اللغات السامية وأقربها شبهاً بالسامية الأولى، وبما أنم اللغة السامية الأم التي كان يتكلم بها الساميون تفرقت إلى لهجات عديدة نتيجة لاتساع المنطقة التي كان يقطنها الشعب السامي وبسبب الانفصال التدريجي أو المفاجئ لبعض أجزاء الشعب كما تم ذكره مسبقاً، الأمر الذي أدَّى إلى أن تصبح هذه اللهجات لغات مستقلة أثَّرت بعضها ببعض الآخر أخذاً وعطاءً، وهذا ما حدث للغة العربية مع شقيقاتها من اللغات السامية الأخرى في ذلك الوقت المبكر.

والأمر الذي يهمنا هنا هو البحث في أثر اللغة العربية في هذه اللغات بقدر ما يعنينا الكشف عن أثر هذه اللغات في اللغة العربية، والذي وجدنها من خلال البحث أن أكثر اللغات السامية التي كان لها تأثير على اللغة العربية هي اللغة الآرامية بلهجاتها المختلفة وخاصة **السريانية** منها. والسبب في ذلك يعود أن اللغة الآرامية استطاعت منذ القرن السادس قبل الميلاد أن تفرض سيطرتها على كل منطقة الشرق الأدنى والأوسط، فوصلت إلى مكانة العالمية في تلك المنطقة، ولفترة تنوف عن الألف سنة، وحتى ظهور العرب على مسرح الأحداث وتدخلهم المباشر في تغيير خارطة العالم السياسية مع منتصف القرن السابع بعد الميلاد، حيث بدأت الآرامية في التقلص والانقراض التدريجي بمختلف لهجاتها.

لقد كانت **للآرامية** دورها الكبير باعتبارها لغة تفاهم وتخاطب بين شعوب المنطقة أكبر الأثر في لغاتها، وكان من بينها اللغة العربية. وفي ذلك يقول (برجشتراسر): "والكلمات الآرامية المعرَّبة كثيرة ولا تكاد تحصى، وتختلف منابعها، فبينها يهودية، فينبغي أن تكون قد أخذت من لهجة من اللهجات اليهودية الآرامية، ومنها نصرانية، يحتمل أن يكون منبعها لهجة النصارى المستعملة في بلاد سوريا وفلسطين، وهي غير السريانية المشهورة، التي ما بين النهرين إلى شمال سوريا فقط، وبين الكلمات الآرامية المعرَّبة ما يدلُّ معناه على صدوره عن إحدى الطوائف الصغيرة المتفرقة، خصوصاً المندائية" (برجشتراسر، 1997م، ص220).

ويأتي بعد الآرامية من حيث التأثير على اللغة العربية **(اللغة الحبشية)**، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المراد باللغة الحبشية في هذا البحث هي اللغة الجعزية القديمة (Ancient Geʿez)، التي لها صلة وثيقة بالعربية القديمة، وأقدم نص وصل إلينا من الجعزية هو ذلك النقش الذي يرجع تاريخه إلى سنة 350م. وآخر أحدث منه بنحو قرن من الزمن، وقد كُتِبا معاً بالخط السبئي، أما الحبشية الوسيطة، والأمهرية منها على وجه الخصوص فلا تكاد صلتها بالعربية ترقى إلى ما كانت عليه الجعزية القديمة، وذلك لغلبة الطابع الحامي عليها في كلماتها وفي بناء جملها، وقد أخذت اللغة العربية باتصالها بالحبشية (الجعزية)، عن طريق أتباع النبي (عليه الصلاة والسلام)، بعضاً من الألفاظ معظمها ذات طبيعة دينية، مثل: برهان، منافق، مشكاة ....إلخ (عبد التواب، 1999م، ص34).

أما ما يخص **اللغة العبرية** فمن المعروف أنَّ عرب الجاهلية اتصلوا باليهود اتصالاً مباشراً خصوصاً في بلاد الحجاز، وفي بلاد اليمن أيضاً، حيث أن اليهود سكنوا هذه الأماكن وبنوا مستوطناتهم فيها، واختلطوا بالعرب الموجودين فيها، وكانت (مدرشات) الطائفة اليهودية التي كانت تسكن في يثرب (المدينة المنورة) وفي المستوطنات اليهودية الأخرى، تعلم أبناء هذه الطائفة من اليهود الاحكام والتشريعات من كتبهم المقدسة عندهم، وكذلك يقومون بتعليم أطفالهم القراءة والكتابة، وقد ذهب العرب إليهم، وجلسوا واستمعوا لهم ولما كانوا يتعلمون منه، وقد شاهد الرسول (عليه الصلاة والسلام) هذه المدرشات، بعد هجرته من مكة إلى المدينة المنورة، وحضر جدالاً كان قد وقع بين جماعة من اليهود فيما بينهم، كما وحضرها سيدنا

أبو بكر الصديق ومجموعة من صحابة رسول الله أيضاً، ومن اليهود ومن هذه (المدراشات) انتقلت بعض الألفاظ والعبارات والكلمات العبرية إلى اللغة العربية فعُرِّبت (علي، 1950-1959م، ج6، ص99-100).

وفيما يتعلق **بالألفاظ الأكادية** التي تأثرت وأثرت بها اللغة العربية فالمتوفر منها قليل جداً، فهي لم تدخل إلى العربية بشكل مباشر، بل عن طريق اللغة الآرامية، حيث استطاعت هذه اللغة أن تفرض نفسها منذ القرن السادس قبل الميلاد، على كل منطقة الشرق الأدنى والأوسط (وقد تم الحديث عنا أنفاً)، فكانت تأخذ عن اللغات الحضارية التي كانت موجودة في ذلك الوقت كالأكادية والفارسية ... إلخ، وكثيراً من مفرداتها ومصطلحاتها وتنقلاتها إلى اللغات الأخرى ومن بينها العربية، كما يمكن القول أن أغلب الألفاظ المشتركة بين العربية والأكادية إنَّما هي مفردات من المشترك السامي القديم الموروث من اللغة السامية الأم.

وأخيراً نستطيع القول بأن الكثير من الألفاظ التي دخلت إلى اللغة العربية من اللغات السامية التي تم ذكرها والتي لم نذكرها ، والتي ألف الناس استعمالها صارت جزءاً من لغتهم، وربَّما نسوا أصلها في الكثير من الأحيان، وقد كان نزول القرآن الكريم باللغة العربية جعل هذه الألفاظ تصبح جزءاً من مقوماتها.

النتائج:

من خلال ما تم تقديمه في هذا البحث المتواضع يتبين لنا عدة نتائج تختص بإعطاء سمة متميزة للغة العربية في الدراسات السامية المقارنة، وكان من أهمها:

1-أن اللغة العربية أكمل اللغات السامية، وأكثرها نضوجاً، فلها القدرة على التعبير عن مختلف الأمور والقضايا، مما جعلها تحمل شرف كلام رب العالمين، وارسال خاتم النبيين عليه أفضل الصلاة والسلام)، ليتكلم بهذه اللغة، فهي بذلك تحمل وساماً لم تنله أي لغة أخرى في العالم، ففي ذلك كان لها العلو والقدر والفخر الكبير.

2-أن اللغة العربية تمثل البنية الأساسية لجميع الدراسات السامية، كونها استطاعت الحفاظ على أكبر عدد من الظواهر والقواعد اللغوية، التي انعدمت من معظم اللغات السامية، إضافة إلى أن العربية تمتاز بخصائص كثر عن أخواتها من اللغات السامية الأخرى في الأصوات والمفردات والقواعد، حيث بلغت بذلك مكانة عالية من السعة والاكتمال.

3-أن اللغة العربية دائماً ما تميل أكثر من غيرها إلى اللغة السامية الأم من ناحية الأصول، مما جعلها أكثرهم قرباً إليها، وهذا الأمر دفع العديد من المستشرقين والباحثين والمؤرخين إلى اعتبار اللغة العربية أصلاً للغات السامية القديمة.

4-أن معظم اللغات السامية لم يعد لها وجود على أرض الواقع، لا على صعيد المحادثة ولا الكتابة، ولا حتى على صعيد القراءة والمطالعة، كون هذه اللغات أبيدت وأصبحت من الأثر فقط، إلا عدد قليل منها كالعبرية، والسريانية، والحبشية، رغم أن السريانية والحبشية تستخدمان في مجالات ضيقة جداً.

5-مما لا شك فيه أن اختيار اللغة العربية لتبليغ أعظم وأخر الرسالات السماوية لم يكن بالأمر الهين ولم يكن شيئاً اعتباطياً، من الله عز وجل، فعملية التبليغ تتطلب الإبانة عن المقاصد، فمن أهم وسائل الإبانة هي لغة الخطاب، وهذا ما كان متوفراً في اللغة العربية من مفردات الإبانة، وأساليبها التي لم تملكها أي لغة أخرى من اللغات السامية، وفي هذا جاء في محكم التنزيل قوله تعالى: **(وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ . عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ) (الشعراء 192 - 195).**

المراجع العربية:

1. ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين القزويني. (1969م). **معجم مقاييس اللغة**. تحقيق. عبد السلام محمد هارون. ستة أجزاء. مصطفى طبع البابي الحلبي وشركاه. القاهرة. مصر.

2. أحمد، محمد خليفة حسن. (1998م). **رؤية عربية في تاريخ الشرق الأدنى وحضارته**. دار قباء. الإسكندرية. مصر.

3. الألباني، محمد ناصر الدين. (1408هـ - 1988م). **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير).** 3 مجلدات. الطبعة الثالثة. المكتب الإسلامي. بيروت. لبنان.
4. برجشتراسر، جوتهلف. (1997م). **التطور النحوي للغة العربية.** تعليق. رمضان عبد التواب. الطبعة الثالثة. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر.
5. بروكلمان، كارل. (1977م). **فقه اللغات السامية.** ترجمة. رمضان عبد التواب. جامعة الرياض. السعودية.
6. بكر، السيد يعقوب. (1969م). **دراسات في فقه اللغة العربية.** مكتبة لبنان. بيروت. لبنان.
7. الجندي، أنور. (1402هـ - 1982م). **الفصحى لغة القرآن.** دار الكتاب اللبناني. بيروت. لبنان.
8. الجواليقي، أبي منصور. (1969م). **المعرّب من الكلام على حروف المعجم.** تحقيق. أحمد محمد شاكر. الطبعة الثانية. مطبعة دار الكتب. القاهرة. مصر.
9. حجازي، محمود فهمي. (1973م). **علم اللغة العربية- مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية.** وكالة المطبوعات. توزيع دار العلم للملايين. الكويت.
10. حسين، طه. (د.ت). **في الأدب الجاهلي.** الطبعة السابعة عشر. دار المعارف. القاهرة. مصر.
11. ربيع، آمال محمد عبد الرحمن. (1422هـ - 2001م). **الإسرائيليات في تفسير الطبري (دراسة في اللغة والمصادر العبرية).** دار التعاون. القاهرة. مصر.
12. زيدان، جرجي. (1911م). **تاريخ آداب اللغة العربية.** دار الهلال. القاهرة. مصر.
13. سحاب، فكتور. (1992م). **إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف.** الطبعة الأولى. نشر المركز الثقافي العربي. بيروت. لبنان.
14. السيوطي، عبد الرحمن جمال الدين. (د.ت). **المزهر في علوم اللغة وأنواعها.** مجلدين. شرح وضبط. محمد جاد المولى وآخرون. دار إحياء الكتب العربية. القاهرة. مصر.
15. شاهين، عبد الصبور. (د.ت). **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث.** مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر.
16. شير، السيد آدي. (1990م). **معجم الألفاظ الفارسية المعرّبة.** مكتبة لبنان. بيروت. لبنان.
17. عبد التواب، رمضان. (1995م). **بحوث ومقالات في اللغة.** الطبعة الثانية. الناشر مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر.
18. عبد التواب، رمضان. (1999م). **فصول في فقه اللغة العربية.** الطبعة السادسة. مكتبة الخانجي. القاهرة. مصر.
19. عبد الرحيم، ف. (1432هـ - 2011م). **معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها.** الطبعة الأولى. دار القلم. دمشق. سوريا.
20. علي، جواد. (1950 – 1959م). **تاريخ العرب قبل الإسلام.** 8 أجزاء. من مطبوعات المجمع العلمي العراقي. بغداد. العراق.
21. الغلاييني، الشيخ مصطفى. (1414هـ - 1993م). **جامع الدروس العربية.** راجعه ونقحه. عبد المنعم خفاجة. 3 أجزاء. الطبعة الثامنة والعشرون. المكتبة العصرية. بيروت. لبنان.
22. كابلس، ريتشارد. (1995م). **المقدمة التمهيدية للغة الأكادية.** ترجمة. عبد الرحمن در كزللي. دار شمأل للنشر. دمشق. سوريا.
23. كمال، ربحي. (1988م). **دروس اللغة العبرية.** منشورات جامعة حلب. سوريا.
24. موسكاتي، سبتينو. (1993م). **مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن.** ترجمة. مهدي المخزومي وعبد الجبار المطلبي. بيروت. لبنان.
25. موسكاتي، سبتينو. (1997م). **الحضارات السامية القديمة.** ترجمة. السيد يعقوب بكر. نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب. القاهرة. مصر.
26. نولدكه، نيودور. (1963م). **اللغات السامية.** ترجمة. رمضان عبد التواب. دار النهضة. القاهرة. مصر.
27. وافي، علي عبد الواحد. (2004م). **فقه اللغة.** الطبعة الثالثة. نهضة مصر. القاهرة. مصر.

28.ولفنسون، إسرائيل. (1980م). **تاريخ اللغات السامية**. الطبعة الأولى. دار العلم. بيروت. لبنان.
29.يوهان فك. (1400هـ - 1980م). **العربية (دراسات في اللغة واللهجات والأساليب).** ترجمة وتعليق. رمضان عبد التواب. الناشر مكتبة الخانجي بمصر.

المراجع الأجنبية:

1-Browen, F. (1962). Drivers. S.R. Briggs. and C.A: **A Hebrew and English Lexicon of the Old Testament**. Oxford.

2-Chaim, Rabin. (1951). **Ancient West-Arabian**. London.

3-Renan, E. (1863). **Histoire general et system compare des langue's semitiques**. Paris.